الريب في ضوء القرآن الكريم

د/ فائقة بنت حسن بن أحمد الحسني

أستاذ مساعد بجامعة أم القرى

قسم الكتاب والسنة

تخصص تفسير القرآن وعلومه

من ٢٦١ إلى ٣٢٦

الريب في القرآن الكريم

(مقدمة)

النص القرآني يذخر بالأساليب اللغوية المتنوعة التي تحقق مقصد الشارع لدى المتلقي الذي يتنوع بدوره هو الآخر بين مؤمنٍ لما تلقاه ، وبين كافرٍ وجاحدٍ له ، وهناك الصنف الثالث وهو المتردد المرتاب والمشكك في كل شيئٍ ، ومن الألفاظ التي تكررت في النص القرآني لفظ (الريب) ، فقد تكرربمشتقاته في السور المكية (٢٠) آية ، وفي السور المدنية (١٦) آية ، وقد تناول لفظ (الريب) المفسرون كمرادفٍ للفظ الشك ، بينما رفضه آخرون من منكري الترادف في القرآن الكريم ، وقد تنوعت دلالة اللفظ (الريب) بتنوع السياق القرآني بين السور المكية والسور المدنية ، كما استطاعت الآيات الكريمة – بقدسيتها و إعجازها اللغوي – أن توظف كل الأدوات والتراكيب و الأساليب النحوية – ومنها أسلوب : الاستفهام والنفي و التوكيد والشرط ، وأسلوب الإنكار– في رسم صورة كلية لهؤلاء المرتابين والمشككين في ألوهية الله– سبحانه وتعالى – وفي نبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بل دعوات الأنبياء – عامة – وفي الوحي والقرآن الكريم والبعث والجزاء والحساب ... ، وفي كل مناحي العقيدة الإسلامية .

هذا و سوف نتناول – في بحثنا – الريب من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : دلالات الريب ، ويشتمل على :

المطلب الأول : لفظ الريب لغةً.

المطلب الثاني : لفظ الريب اصطلاحاً.

المطلب الثالث : الريب في الاستعمال القرآني والصلة بينه وبين الشك .

المبحث الثاني :الأساليب القرآنية في عرض الريب ، ويشتمل على :

المطلب الأول : أسلوب الاستفهام ويتناول فيه : الاستفهام لغة واصطلاحاً وأنواع الاستفهام وكيف استُخدم أسلوب الاستفهام للفظ الريب في القرآن الكريم ليكون أبلغ خطاب للرد على المرتابين والمتشككيين .

المطلب الثاني : أسلوب التوكيد ويتناول فيه : التوكيد لغة واصطلاحاً ، وأنواع التوكيد ، وكيف استخدم أسلوب التوكيد للفظ الريب في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : أسلوب النفي ، ويتناول فيه : النفي لغة واصطلاحاً ، وأنواع النفي ، وكيف استخدم أسلوب النفي للفظ الريب في القرآن الكريم .

المطلب الرابع : أسلوب الإنكار ويتناول فيه : الإنكار لغة واصطلاحاً ، وأنواع الإنكار، وكيف وظفت الآيات الكريمة أسلوب الإنكار للفظ الريب للرد على المشككين والمرتابين .

المطلب الخامس : أسلوب الشرط ، ويتناول فيه : الشرط لغة واصطلاحاً ، وأنواع الشرط ، وكيف استخدم اسلوب الشرط للفظ الريب في القرآن الكريم لدحض علل وحجج هؤلاء المرتابين .

المبحث الثالث : المجالات التي ارتاب فيها المرتابون ، ويشمل على :

المطلب الأول : العقائد وتشمل شكهم في (الله ورسوله والأنبياء والرسالات والبعث والجزاء و اليوم الآخر)

المطلب الثاني : ريبهم وشكهم في الوحي والقرآن الكريم ، ونبوة محمد(صلى الله عليه وسلم)

المطلب الثالث : شكهم في قضاء رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

المطلب الرابع : صحة بعض الأعمال وصوابها

المبحث الرابع : آثار الوقوع في الريب وعواقبه ، ويشمل على :

المطلب الأول :الكفر والإلحاد إن كان الريب في العقائد .

المطلب الثاني : الاضطراب والتناقض في المواقف.

المطلب الثالث : التعاسة والشقاء في النفس.

المطلب الرابع : فقدان الثقة في الآخرين.

المطلب الخامس : الخلود في النار للمرتاب في العقائد.

وفي الخاتمة : أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المبحث الأول : دلالات الريب

المطلب الأول : الريب في اللغة :

الريب: الشك، والريب: صرف الدهر وعرضه وحدثه، والريب: مارابك من أمر تخوفت عاقبته([1])

فالريب مأخوذ من ريب الزمان؛ أي: صروفه وحوادثه، ودلالتها مرتبطة بالمكروه، وجاء في القاموس المحيط الرَّيْبُ :" صَرْفُ الدَّهْرِ والحاجَةُ والظِّنَّةُ والتُّهَمَةُ كالرِّيبَةِ بالكسرِ . وقد رابَني وأرَابَني . وأَرَبْتُهُ : جَعَلْتُ فيه رِيبةً . وربْتُه : أوْصَلْتُها إليه . وأرَابَنِي : ظَنَنْتُ ذلك به وجَعَلَ فِيَّ الرِّيبَةَ أو أوْهَمَنِي الرِّيبَةَ أو رَابَنِي"([2])

وفي اللسان :" الرَّيْبُ صَرْفُ الدَّهْرِ والرَّيْبُ والرِّيبةُ الشَّكُّ والظِّنَّةُ والتُّهْمَةُ والرِّيبةُ بالكسر والجمع رِيَبٌ والرَّيْبُ ما رابَك مِنْ أَمْرٍ وقد رابَنِي الأَمْر وأَرابَنِي وأَرَبْتُ الرجلَ.....، الرِّيبةُ والرَّيبُ الشَّكُّ يقول كَسْبٌ يُشَكُّ فيه أَحَلالٌ هو أَم حرامٌ خيرٌ من سُؤَالِ الناسِ لمن يَقْدِرُ على الكَسْبِ قال ونحو ذلك المُشْتَبهاتُ وقوله تعالى لا رَيْبَ فيه معناه لا شَكَّ فيه ورَيْبُ الدهرِ صُرُوفُه وحَوادِثُه ورَيْبُ المَنُونِ حَوادِثُ الدَّهْر وأَرابَ الرجلُ صار ذا رِيبةٍ فهو مُريبٌ وأَرابَنِي جعلَ فِيَّ رِيبةً....، وقد تكرّر ذكر الرَّيْب وهو بمعنى الشَّكِّ مع التُّهمَةِ تقول رابني الشيءُ وأَرابني بمعنى شَكَّكَنِي وقيل أَرابني في كذا أَي شككني وأَوهَمَني الرِّيبةَ فيه فإِذا اسْتَيْقَنْتَه قلت رابني بغير أَلف وفي الحديث دَعْ ما يُرِيبُك

---

١ – العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السامرائي دار الهلال ، ط١ ، ٢٠٣م ، ٨/٢٨٧

٢ – القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢م ، فصل الراء ، ١١٨/١

إلى ما لا يُرِيبُكَ يروى بفتح الياءِ وضمّها أَي دَعْ ما تَشُكُّ فيه إلى ما لا تَشُكُّ فيه..."([1]).

المطلب الثاني : الريب في الاصطلاح :

الريب هو شك مع تهمة مصحوبة بقلق النفس واضطرابها، والشك المريب هو التردد الموقع في القلق والاضطراب ، قال الرازي: "هو أن يبقى الإنسان متوقفًا بين النفي والإثبات" ([2]).

فقد دأب المفسرون على تعريف الريب بالشك والشك بالريب ، والحقيقة أن بينهما تقاربا في المعنى يسوغ ذلك ، ويسوغ له أن ألفاظ العربية حسب المنكرين للترادف لا يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر، فالريب والشك بينهما فروق في المعنى، وأكثر ما يؤكد الفرق بينهما أن الريب جاء وصفا للشك في عدة مواقع من القرآن الكريم، كقوله :وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ " هود. وقوله تعالى في سبأ " :وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ "

والشيء لا يوصف بنفسه ولكن يوصف بوصف يقاربه معنى، وهذا يؤكد قول المنكرين للترادف الباحثين عن الفروق. فالشك هو التداخل الداعي إلى الغموض وعدم استبانة الأمور، والتردد.

---

١ – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، "لسان العرب المحيط"، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، المجلد الأول، بيروت: دار لسان العرب، د. ت، مادة (ريب)، ص ١٢٦٣.لسان العرب ، مادة : ريب ٤٤١/١ ، والمصباح المنير ،كتاب الراء ،٣٤٧/١

٢ – التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد الرازي ، ط ١ ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.١٥/١٨ .

فالمعنى اللغوي للفظة الريب تدور حول معاني الشك والظن والإرتياب وصروف الدهر ، وقد ورد في بعض كتب اللغة ما يفيد بترادف اللفظين (الريب – الشك)، نقل الأزهري عن بعض علماء اللغة، ما نصه: "قال القتيبي: الريبة والريب: الشك... وقول الله – عز وجل –: ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ معناه: (لا شك فيه)"([1])

وأورد المقري الفيومي في مصباحه، ما نصه: "الريب: الظن والشك، ورابني الشيء (يريبني): إذا جعلك شاكًّا"([2])

ونقل الزبيدي في "تاج العروس" عن أهل اللغة: "الريب: الظن، والشك، والتهمة، كالرِّيبة بالكسر... وفي الحديث: ((دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك))، روي بفتح الياء وضمها؛ أي: دع ما يُشكُّ فيه إلى ما لا يشك فيه... وفي حديث أبي بكر في وصيته لعمر – رضي الله عنهما –: "عليك بالرائب في الأمور، وإياك والرائبَ منها"، المعنى: عليك بالذي لا شبه فيه كالرائب من الألبان، وهو الصافي، وإياك والرائب منها؛ أي: الأمر الذي فيه شبه وكدر، فالأول من راب اللبن يروب، فهو رائب، والثاني: من راب يريب، إذا وقع في الشك"([3])

---

١ – "تهذيب اللغة"، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق إبراهيم الأبياري، الجزء الخامس عشر، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ م، ص ٢٥٢.

٢ – "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي" المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ، ج١، مادة (ريب) (دار الفكر) د. ت، الجزآن في مجلد واحد، ص ٢٤٧.

٣ – "تاج العروس من جواهر القاموس" الزبيدي، السيد مرتضى،، المجلد الأول، بنغازي: دار البيان، ١٣٠٦هـ، تمت طباعته الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ، ص ٢٨٢، ٢٨٣ .

المطلب الثالث : الريب في الاستعمال القرآني والصلة بينه وبين الشك :

أما في كتب الدراسات القرآنية، فقد ورد في كتاب "معاني القرآن" للفراء،: ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾البقرة :٢، على معنى: (لا شك فيه)، وذلك في قوله: "إذا أردت بـ (الكتاب) أن يكون نعتًا لـ (ذلك)، كان الهدى في موضع رفع؛ لأنه خبر لـ (ذلك)، كأنك قلت: ذلك هدى لا شك فيه"([1])

وفي "مجاز القرآن" لأبي عبيدة :"{لاَ رَيْبَ فِيهِ} البقرة :٢ لا شك ...، لا ريب: لا شك"([2])

وقال عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام في شرحه لقوله – تعالى –: ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾: "معنى قولنا: ارتبت في كذا، شككت فيه، واحترت فيه، وأكثرت النظر فيه، وما شابه ذلك([3])"

وورد في كتاب: "البرهان في غريب القرآن" ما نصه: "ريب: رابه الأمر يريبه ريبًا، شك فيه، والريب: الشك، قال الله – تعالى –: {ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ}؛ أي: لا شك... وريبهم: شكهم([4])"

---

١ – "معاني القرآن" الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد،، ج١، ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٠م، ص ١١.

٢ – "مجاز القرآن" التيمي، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ج١، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ا/ ١٩٨١ م ، ص٢٩ .

٣ – "فوائد في مشكل القرآن" ابن عبدالسلام، عز الدين عبدالعزيز، تحقيق: سيد رضوان علي الندوي، ط٢، جدة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م، ص ٦٩ .

٤ – "البرهان في غريب القرآن" الجشي، حسن بن صالح بن عمر،، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٥٩.

وفي تعليقه على الآية الكريمة: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾، يقول: "كيف يكون الشك مريبًا؛ لأن المريب هو الذي يتشكك، والشك لا يتشكك؛ بل الذي يتشكك هو الشاك؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن هذا من باب وصف الصفة بما يستحقه الموصوف، كقولهم: شعر شاعر، وجنون مجنون، الآخر: أن أصل الريب القلق، وسمي الشاك مرتابًا؛ لأن الشاك ربما يقلق(١)"

ولكن توجد بعض الفروق الدلالية بين اللفظتين فقد ورد في كتاب "الفروق اللغوية" لأبي هلال العسكري: "الفرق بين الشك والارتياب، أن الارتياب: شك مع تهمة، والشاهد أنك تقول: إني شاكٌّ اليوم في المطر، ولا يجوز أن تقول: إني مرتاب، وتقول: إني مرتاب بفلان، إذا شككتَ في أمره واتهمته".

وعرَّف (الشك) في موطن آخر بقوله: "وأصل الشك في العربية من قولك: شككتُ الشيء، إذا جمعتَه بشيء تدخله فيه، والشك: هو اجتماع شيئين في الضمير"، وذكر العسكري في حديثه عن (الشك) أنه وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر، فالشاك: يجوِّز كون ما شك فيه على إحدى الصفتين؛ لأنه لا دليل هناك ولا أمارة، وأشار أبو هلال إلى تسمية الشك والامتراء: إن الامتراء: هو استخراج الشُّبه المشكلة، ثم كثر حتى سمي الشك ريبة وامتراء، وأصله: المَرْيُ، وهو استخراج اللبن من الضرع، يقال: مري الناقة يمريها مريًا، ومنه ماراه مماراة ومراء: إذا استخرج ما عنده بالمناظرة، وامترى امتراء: إذا استخرج الشبه المشكلة من غير حل لها.

وربما أعطى أبو هلال توضيحًا للمقصود بالريبة، وذلك عندما تحدث عن الفرق بينها وبين التهمة في قوله: "الفرق بين الريبة والتهمة، فإن الريبة هي الخصلة من المكروه تُظن

١ – "فوائد في مشكل القرآن"، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

بالإنسان، فيشك معها في صلاحه، والتهمة: الحصيلة من المكروه، تظن بالإنسان أو تقال فيه، ألا ترىٰ أنه يقال: وقعت علىٰ فلان تهمة، إذا ذكر بخصلة مكروهة، ويقال أيضًا: اتهمته في نفسي، إذا ظننت به ذلك من غير أن تسميه فيه؟ فالمتهم: هو المقول فيه التهمة، والمظنون به ذلك، والمريب: المظنون به ذلك فقط، وكل مريب متهم، ويجوز أن يكون متهمًا ليس بمريب"([1]) .

وذكر الفخر الرازي في "التفسير الكبير" (مفاتيح الغيب)، ما نصه: "الريب: قريب من الشك، وفيه زيادة، كأنه ظن سوء، تقول: رابني أمر فلان، إذا ظننتَ به سوءًا، ومنها قوله – عليه السلام –: (دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك)([2]) "

وقال أبو حيان في تفسيره: "الريب: الشك بتهمة، وراب: حقق التهمة، قال:

لَيْسَ فِي الحَقِّ يَا أُمَيَّةُ رَيْبٌ
إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الكَذُوبُ

وحقيقة الريب: قلق النفس([3])"

تعقيب علىٰ الفروق الدلالية بين لفظتي (الشك، والريب):

---

١ – "الفروق اللغوية" أبو هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م، ص ٧٩.

٢ – "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي ، ج٢، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٨ .

٣ –"البحر المحيط"، أبو حيان أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، ج١، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م، ص٣٣.

اتَّضح مما سبقت الإشارة إليه أن (الريب) مرتبطًا بالسوء، أو بما هو مكروه، وليس (الشك) كذلك، وفي محاولة للتفريق بين اللفظين يقول سامي هلال: "الريب: حالة فكرية تميل نحو الاتهام وظن السوء، والشك: حالة من الحيرة والاضطراب، يجعل اليقين يتذبذب ويتأرجح بين الأمرين، من غير مرجِّح لأحدهما، والشك: حالة فطرية تنشأ عند غياب الأمارة المرجحة، وعند الجهل بالحقيقة، والريب: حالة مرضيَّة تؤدي إلى توهم الحقيقة، وترجح التهمة بغير دليل، وفي إطار هذه الدلالات جاء كلٌّ من اللفظين يعبِّر عن معناه الذي يؤكد أن هذا اللفظ في موضعه له معنى لا يؤديه مرادفُه(١)"

الآيات التي وردت فيها لفظة (الريب) ومشتقاتها:

وردت لفظة (الريب) ومشتقاتها في القرآن الكريم ستًّا وثلاثين مرة، منها: (عشرون آية مكية)، و(ست عشرة آية مدنية) على النحو التالي:

أ- الآيات المكية:

١- ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾الأنعام :١٢ (ريب).

٢- ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾يونس :٣٧ (ريب).

---

١ – "الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والنافين"، سامي عبدالفتاح عبدالعزيز هلال ، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن الكريم غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٥٤.

٣- ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾هود :٦٢ (مريب).

٤- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾هود :١١٠ (مريب).

٥- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾إبراهيم :٩ (مريب).

٦- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾الإسراء:٩٩ (ريب).

٧- ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾الكهف:٢١ (ريب).

٨- ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾العنكبوت:٤٨ (ارتاب).

٩- ﴿ تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾السجدة:٢ (ريب).

١٠- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾سبأ:٥٤ (مريب).

١١- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾غافر: ٣٤ (مرتاب).

١٢- ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾غافر:٥٩ (ريب).

١٣- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾فصلت:٤٥ (مريب).

١٤- ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرُ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾الشورى:٧ (ريب).

١٥- ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾الشورى: ١٤ (مريب).

١٦- ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾الجاثية:٢٦ (ريب).

١٧- ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾الجاثية:٣٢ (ريب).

١٨- ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴾ق:٢٥ (مريب).

١٩- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ ﴾الطور: ٣٠ (ريب).

٢٠- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾المدثر: ٣١ (يرتاب).

ب- الآيات المدنية:

١- ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾البقرة: ٢ (ريب).

٢- ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾البقرة: ٢٣ (ريب).

٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾البقرة: ٢٨٢ (ترتابوا).

٤- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾آل عمران: ٩ (ريب).

٥- ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾آل عمران:٢٥ (ريب).

٦- ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾النساء:٨٧ (ريب).

٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾المائدة:١٠٦ (ارتبتم).

٨- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾التوبة:٤٥ (ارتابت).

٩- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ التوبة:٤٥(ريبهم).

١٠- ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾التوبة:١١٠ (ريبة).

١١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾الحج:٥ (ريب).

١٢- ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ ﴾الحج:٧ (ريب).

١٣- ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾النور: ٥٠ (ارتابوا).

١٤- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾الحجرات:١٥ (يرتابوا).

١٥- ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾الحديد: ١٤ (ارتبتم).

١٦- ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾الطلاق :٤ (ارتبتم).

ويوضح الجدول اللاحق هذا الإحصاء بصورة تفصيلية؛ حيث يكشف عن عدد المرات التي تم فيها استعمال لفظة (الريب) ومشتقاتهما في القرآن الكريم (المكي، والمدني)، ويرصد مواضع استعمالها:

ملاحظات حول الآيات:

١- في الآيات المكية وردت لفظة (الريب) منفيةً في كل تلك الآيات، باستثناء آية واحدة فقط خرجتْ فيها لفظة (ريب) عن المعنى الذي تحمله بقية الآيات المشار إليها، وذلك ما ستوضحه الدراسة لاحقًا، وفي بقية الآيات المكية جاء (الريب) بمعنى: الشك مع تهمة، وفي تلك الآيات ينفي الله – سبحانه وتعالى – وقوعَ الريب في يوم القيامة، أو في الكتاب المنزل، أو في الموت الموعودِ به البشرُ، وذلك على النحو التالي:

• جاء في سورة (الأنعام) وهي مكية: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾الأنعام: ١٢.

• وجاء في سورة (يونس) وهي مكية: ﴿ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾يونس:٣٧.

• وجاء في سورة (الإسراء) وهي مكية: ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾الإسراء:٩٩.

• وجاء في سورة (الكهف) وهي مكية: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا ﴾الكهف:٢١.

• وجاء في سورة (السجدة) وهي مكية: ﴿ تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾السجدة:٢.

• وجاء في سورة (غافر) وهي مكية: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا ﴾غافر:٥٩.

• وجاء في سورة (الشورى) وهي مكية: ﴿ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾الشورى:٧.

• وجاء في سورة (الجاثية) وهي مكية: ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾الجاثية:٢٦.

• وجاء في آية أخرى من سورة (الجاثية): ﴿ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا ﴾الجاثية:٣٢.

وفي هذا النفي للريب عن يوم القيامة، وعن الكتاب، وعن الموت الذي لا مفرَّ منه – تلاؤمٌ وانسجام مع مجتمعٍ جلُّه من المشركين والكفار، وهم في حاجة إلى التأكيد على أن ذلك الكتاب الذي يُتلى عليهم هو من الله لا ريب في ذلك ولا شك، وأن اليوم الآخر آتٍ لا محالة، وأن الموت ينتظر كلَّ حيٍّ، وذلك أمر لا سبيل لإنكاره أو التشكك في وقوعه، وكل هذه القضايا التي تمهِّد للدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، يتناسب طرحها في أناس شاع بينهم التشكيك في هذه الحقيقة، والتركيز على نفي كل شك وريب يتصل بهذه الأمور.

٢– ورد لفظ (الريب) في صيغة (مريب) وصفًا للشك وتقوية لمعناه في جميع الآيات المكية، ما عدا آيةً واحدة، ستشير إليها الدراسة لاحقًا.

٣- كثر وصف الناس بالارتياب في الآيات المدنية، فالكلمات: (ارتابت قلوبهم، ارتابوا، ارتبتم، ترتابوا، يرتابوا) لم يَرِدْ منها شيءٌ في الآيات المكية، وهذا يفسِّر التوبيخَ الإلهي لهذه الشريحة من المجتمع المدني الذي داخلت الريبةُ قلوبَهم، على الرغم من ظهور الدليل والحجة على صحة الدعوة التي نَشَرها الرسول الكريم، ووضوح الآيات، وسطوع البرهان، وحتى لفظة (ريبة) انحصر ورودها في خطاب المجتمع المدني، وخلتْ منها الآيات المكية، وهذا ما يكشف عن الفرق بين مفهوم (الارتياب) و(الشك) الذي وضحه أبو هلال العسكري، وأشارت إليه هذه الدراسة في مستهل الحديث عن الفروق الدلالية بين اللفظتين.

وهذا بيان بمواضع اقتران الريب بالشك في الآيات المكية:

- جاء في سورة (هود) وهي مكية: ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾هود:٦٢.
- وجاء في سورة (هود) أيضًا: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾هود:١١٠
- وجاء في سورة (إبراهيم) وهي مكية: ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾إبراهيم:٩.
- وجاء في سورة (سبأ) وهي مكية: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾سبأ:٥٤.
- وجاء في سورة (فصلت) وهي مكية: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾فصلت:٤٥.
- وجاء في سورة (الشورى) وهي مكية: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾الشورى:١٤.

وفي جميع هذه الآيات المكية وصفٌ لذلك النوع من الشك الذي يقض المضاجعَ، ويجعل أصحابَه في حيرة من أمرهم، ويوقعهم في اضطراب وقلق، وكل ذلك متَّسقٌ مع المقام الذي يتحدَّث عن أولئك المشككين، الغارقين في الحيرة، والواقعين في قلق من أنفسهم واضطراب، وهو حال أغلب المشركين والكفار أولَ ظهور الدعوة.

أما الآية الكريمة الواردة في سورة (ق)، فجاءت فيها لفظة (مريب) غيرَ مقترنة بلفظة (شك)، وهي في قوله – تعالى –: ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴾ق:٢٥ ولكن المعنى الذي تحمله لفظة (مريب) في هذه الآية الكريمة، هو: (شاك)، ويكاد يُجمع المفسرون على ذلك، يقول الطبري في تفسيره: "وقوله: (مريب) يعني: شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء، كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مريب): أي شاك"(١).

وقال الزمخشري في تفسير لفظة (مريب) من هذه الآية الكريمة: "(مريب) شاك في الله وفي دينه"(٢).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: "ومريب؛ لأنه شاك في الحشر، فكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات"(٣).

وذكر أبو حيان في "البحر المحيط" في غضون حديثه عن هذه الآية المباركة، ما نصه: "مريب، قال الحسن: شاك في الله أو في البعث"(١).

---

١ – "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، أبو جعفر محمد بن جرير ، الطبرى، مج ١٣، ج٢٦، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، ص ١٦٧.

٢ – "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، الزمخشري، محمود بن عمر ، ج ٤، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ٣٨٧.

٣ – "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي، ، ج٢٨، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٤٤.

وقال أبو السعود في تفسيره: "(مريب): شاك في الله وفي دينه"([٢]).

١ – "التفسير الكبير" المسمى: "البحر المحيط" أبو حيان، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف الأندلسي ، ج٨، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٢٦.

٢ – تفسير أبي السعود المسمى: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" أبو السعود، محمد بن محمد العمادي ، ج٨، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٣١.

المبحث الثاني

المطلب الأول: الاستفهام

الاستفهام في اللغة :"استفهمه سأل أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء ففهمته تفهيما"([1]). أي أن الاستفهام في أصل اللغة هو طلب الفهم .

أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء تعريفات متقاربة ، وهو لا يخرج عن معناه اللغوي وهو طلب الفهم ([2]).

والاستفهام له الصدارة في الكلام ، قال ابن يعيش " إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية فنقلها من الخبر إلى الاستخبار فوجب أن يكون متقدما عليها ليفيد ذلك المعنى فيها "([3])

والأصل في أدوات الاستفهام لا يليها إلاَّ الفعل ؛ وذلك لأن سياق الجملة الاستفهامية سياق فعلي؛ لأن الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه فهو في حقيقته سؤال عن الفعل ، وأنت إذ تستفهم فإنما تستفهم عما تشك فيه وتجهله وإنما يقع الشك في الفعل ، وأما الاسم فمعلوم([4])

---

١ – لسان العرب ، مادة (فهم) ، ٣٥٨/١٥

٢ – ابن يعيش ، شرح المفصل ١٥٠/٨ ، ومغني اللبيب ١٣/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٧٥/٢ .

٣ – شرح المفصل ١٥٥/٨.

٤ – شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش ، ط٦ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت ، ١٥٠/٨ ، ومغني اللبيب ١٣/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٧٥/٢ .

ومجيء الجملة الاسمية مبتدئة باسم يليه فعل بعد حروف الاستفهام ، يُعدُّ من الضرورات التي لا تجوز إلاَّ في الشعر، ومنهم من جوَّزه ([1])

أغراض الاستفهام :

الغرض الأصلي للاستفهام كما سبق ، هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب ، إلا أن الاستفهام قد يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من خلال السياق ، ومنها :

١- الإنكار: حين يراد إنكار المستفهم عنه ، نحو قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) البقرة :٤٤ ، وسوف نتناوله بالتفصيل .

٢- التشويق : وذلك حين يراد تشويق المخاطب إلى أمر ما ، نحو قوله تعالى :(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) الصف:١٠ .

٣- التقرير: حين يطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام ، أو يريد المتكلم إثباته ، نحو قوله تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) الزمر:٣٦ .

٤- التمني : حين يكون ما بعد الأداة (هل) بعيد المنال ، نحو قوله تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) الأعراف :٥٣ .

---

١ – المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبوالعباس ، المعروف بالمبرد ، ت: محمد عبد الخالق عضيمة ، ط١ ، عالم الكتب – بيروت ، ٢٠٠١م ٢/٧٥ .

٥- الاستبطاء : حين يراد التعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه ، نحو قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة :٢١٤

٦- التهويل والتعظيم :حين يراد الدلالة على هول المستفهم عنه ، نحو قوله تعالى (الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) الحاقة :١-٢

٧- الاستبعاد : حين يستبعد المتكلم ما بعد الأداة ، نحو قوله تعالى (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يونس :٤٨

وكذلك التعجب والتقريع والتحسر والتوجع والتحقير وغير ذلك ...إلخ (١)

واستُخدم الاستفهام الانكاري في القرآن الكريم ليكون أبلغ خطاب للرد على المرتابين والمتشككيين على النحو التالي :

قال تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) إبراهيم : ١٠

ففي قدرة الله – سبحانه – وتفرده بالألوهية أمر لا شك فيه للمؤمن والكافر على حدٍ سواء ؛ لذلك أنكرت الآيات الكريمة باستخدامها للاستفهام الإنكاري موقفهم الغير مقبول ، يقول الزمخشري :"أدخلت همزة الإنكار على الظرف (أَفِي اللَّهِ) ، لأن الكلام

١ – أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، دمشق ، مطبعة الشام ، عبد الكريم محمد يوسف ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٧ :١٨ .

ليس في الشك ، إنما هو في المشكوك فيه ، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه " (١)

أفي الله شك بتقديم الظرف وإدخال الهمزة عليه للايذان بأن مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيمن لايكاد يتوهم فيه الشك أصلا ، ولولا هذا القصد لجاز تقديم المبتدأ .....، أي أفي وحدانية الله تعالى شك ...، وتقدير الشأن مطلقا ذو شأن وفي عدم تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا : أأنتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة الجلال عن شائبة الشك وتسجيل عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه تعالى شأنه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله سبحانه في شك عظيم مريب " (٢)

والمراد : إنكار وقوع الشك في أهم الصفات الإلهية وهي صفة التفرد بالإلهية أي صفة الوحدانية ، وأتبع اسم الجلالة بالوصف الدال على وجوده وهو وجود السماوات والأرض الدال على أن لهما خالقا حكيما لاستحالة صدور تلك المخلوقات العجيبة المنظمة عن غير فاعل مختار وذلك معلوم بأدنى تأمل وذلك تأييد لإنكار وقوع الشك في انفراده بالإلهية لأن انفراده بالخلق يقتضي انفراده باستحقاقه عبادة مخلوقاته

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾إبراهيم :٩ (مريب).

---

١ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢/٥١٠

٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٩٥/ ١٣

وقد استخدمت الآيات الكريمة الاستفهام الإنكاري اعتراضا على تعنت المشركين وتشككهم في مصداقية نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– و معنى الاعتراض "الم يأتكم أنباء الجم الغفير الذي لايحصى كثرة فتعتبروا بها ان في ذلك لمعتبرا ...، ومعناه ألم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لايحصى عددهم كأنه يقول : دع التفصيل فانه لامطمع في الحصر وفيه لطف لايهام الجمع بين الاجمال والتفصيل"(١) .

– ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾النور: ٥٠ (ارتابوا).

وفي الآية الكريمة ترديد لسبب الإعراض المذكور فمدار الإستفهام ما يفهم من الكلام ..، والإستفهام في الآية إنكاري وهو لإنكار السببية والمعنى "أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم ..، فمدار الاستفهام كأنه قيل أذلك أى إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته صلى الله عليه و سلم مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل ...، أى ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منها لأعرضوا عنه صلى الله عليه و سلم عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه صلى الله عليه و سلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا واما الثالث حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله صلى الله عليه و سلم في الأمانة والثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه صلى الله عليه و سلم لعلمهم بأنه صلى الله عليه و سلم يقضى عليهم بالحق(٢)"

---

١ – روح المعاني ، ١٩٣/ ١٣

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٦/١٨٧ .

– ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾الإسراء:٩٩ (ريب).

والاستفهام إنكاري والكلام كناية عن إثبات أن الله خالق السماوات والأرض

أي أن الذي خلق السماوات والأرض لا يعجزه إعادة الأجساد بعد الموت والفناء . وهذا معنى قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) أي أن يخلق أمثال أجسادهم بعد انعدامهم " أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن الله تعالى الذي قدر على خلق هذه الأجرام والأجسام الشديدة العظيمة التي بعض ما تحويه البشر قادر على أن يخلق مثلهم من الإنس أي ومن هو قادر على ذلك كيف لا يقدر على إعادتهم وهي أهون عليه جل وعلا وقال بعض المحققين : مثل هنا مثلها في مثلك لا يبخل أي قادر على أن يخلقهم والمراد بالخلق الإعادة كما عبر عنها أولا بذلك حيث قيل خلقا جديدا ولا يخلو عن بعد وزعم بعضهم أن المراد قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدونه تعالى ويقروم بكمال قدرته وحكمته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة كقوله تعالى ويأت بخلق جديد "(١)

المطلب الثاني: التوكيد

التوكيد لغة : هو تمكين المعنى في النفس وتقويته ، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد إلى الكلام .

١ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٩٥/ ١٣

وهو في أصل اللغة : مصدر وكَّد ، فقد جاء في الأشموني على حاشية الصبان " [١]هو في الأصل مصدر ويسمى به التابع المخصوص ، ويقال : أكد تأكيداً ، ووكدَّ توكيداً ، وهو بالواو أكثر وهي في الأصل والهمزة بدل " اهـ ، وفي المصباح الهمزة أصل[٢]. وجاء في لسان العرب " وكد الرحل والسرج توكيداً بمعنى شدَّه ، والوكائد بمعنى بمعنى السيور التي يُشدُّ بها القربوس إلى دفتي السرج ، الواحد وِكاد وإِكاد ...، "[٣]

وهكذا نجد أن المعاني التي تدور حول مادة (وكد) هي الثبوت والتمكين والقصد ، ولهذا هو المراد من التوكيد في الكلام : التمكين والتقوية وإزالة الشبهات التي ترد في الكلام إذا لم يؤكد .

وفي الاصطلاح : واستعمل التوكيد عند النحاة في التابع ، وهو نوعان : لفظي ومعنوي ، والمعنوي : هو التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر ، وله ألفاظ مخصوصة دُونت في كتب النحو، وقُسمت طرق التوكيد إلى أربعة طرق [٤].

الأول : التكرار وهو ما يكون فيه الكلام مرددا وبكون بتكرار فعل أو اسم أو حرف أو جملة ، وهو ما يسمى عند النحاة بالتوكيد اللفظي ؛ لأنه تكرار للفظ المؤَكد وعندما تكلم النحاة عليه بحكم أنه تابع ذكروا معه التوكيد المعنوي ؛ لأنه تابع لما قبله وتكرار في المعنى له تكرار غير صريح[٥] .

---

١ – شرح الأشموني، علي بن محمد بن عيسى ، أبوالحسن ، نورالدين الأشموني الشافعي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩م / ١٩٩٨م ، ٧٣/٣ .

٢ – المصباح المنير ، ص٥٣.

٣ – لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (وكد) ٢٩٨/٣ .

٤ – أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، محمد حسين أبو الفتوح ، مكتبة لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ١٣

٥ – شرح المفصل ٣ / ٣٩ .

الثاني : التوكيد بالأداة ، ومن الأدوات ما يكون خاصا بالأسماء ، ومنها ما يكون خاصا بالأفعال ، ومنها ما يكون شائعا مشتركا بين الأسماء والأفعال .

الثالث : التوكيد بحروف الزيادة ، وهي حروف لها معنى في أصل الوضع ثم انسلخت عن معانيها التي وضعت لها في أصل الوضع إلى معنى آخر وهو التوكيد كما في قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) الزمر: ٣٦ ، فالباء في خبر ليس زائدة لتأكيد معنى النفي .

الرابع : التوكيد بغير أداة ، مثل التقديم والتأخير ، وأسلوب القسم

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾هود :٦٢ (مريب).

فجملة (وإننا لفي شك) معطوفة على جملة (يا صالح قد كنت فينا مرجوا) فبعد أن ذكروا يأسهم من صلاح حاله ذكروا أنهم يشكون في صدق أنه مرسل إليهم وزادوا ذلك تأكيدا بحرف التأكيد

" ومن محاسن النكت هنا إثبات نون (إن) مع نون ضمير الجمع لأن ذلك زيادة إظهار لحرف التوكيد والإظهار ضرب من التحقيق بخلاف ما في سورة إبراهيم من قول الأمم لرسلهم (وإنا لفي شك مما تدعوننا) لأن الحكاية فيها عن أمم مختلفة في درجات التكذيب ولأن ما في هاته الآية خطاب واحد فكان (تدعونا) بنون واحدة هي نون المتكلم ومعه غيره فلم يقع في الجملة أكثر من ثلاث نونات بخلاف ما في سورة إبراهيم لأن الحكاية هنالك عن جمع من الرسل في (تدعوننا) فلو جاء (إننا) لاجتمع أربع نونات

والمريب : اسم فاعل من أراب إذا أوقع في الريب . يقال : رابه وأرابه بمعنى . ووصف الشك بذلك تأكيد كقولهم : جد جده (١)

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾إبراهيم :٩ (مريب).

فقد أكد الكافرون كفرهم وإنكارهم مرتين : الأولى (إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ) ، والثانية (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) حيث أكدوا كفرهم بما جاءت به الرسل بما دلت عليه (إن) وفعل المضي في قوله (إنا كفرنا) . وسموا ما كفروا به مرسلا به تهكما بالرسل كقوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) فمعنى ذلك : أنهم كفروا بان ما جاءوا به مرسل به من الله أي كفروا بان الله أرسلهم . فهذا مما أيقنوا بتكذيبهم فيه

وأما قولهم (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه) فذلك شك في صحة ما يدعونهم إليه وسداده فهو عندهم معرض للنظر وتمييز صحيحه من سقيمه فمورد الشك ما يدعونهم إليه ومورد التكذيب نسبة دعوتهم إلى الله . فمرادهم : أنهم وإن كانوا كاذبين في دعوى الرسالة فقد يكون في بعض ما يدعون إليه ما هو صدق وحق فإن الكاذب قد يقول حقا

"وجعلوا الشك قويا فلذلك عبر عنه بأنهم مظروفون فيه أي هو محيط بهم ومتمكن كمال التمكن و (مريب) تأكيد لمعنى (في شك) والمريب : الموقع في الريب وهو مرادف الشك فوصف الشك بالمريب من تأكيد ماهيته كقولهم : ليل أليل وشعر شاعر

---

١ – التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م. ، ٢١٣٣/١ .

؟ وحذفت إحدى النونين من قوله (إنا) تخفيفا تجنبا للثقل الناشئ من وقوع نونين آخرين بعد في قوله (تدعوننا) اللازم ذكرهما بخلاف آية سورة هود (وإننا لفي شك مما تدعونا) إذ لم يكن موجب للتخفيف لأن المخاطب فيها بقوله (تدعونا) واحد "(١)

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾الإسراء:٩٩ (ريب). أي أبى المشركون إلا جحودا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر للحكم عليهم بالظلم ومجاوزة الحد فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبا به(٢)"

أي كفروا بالقرآن وطلبوا بمعجزات أخرى ، وضمير الجمع عائد إلى أكثر الناس الذين أبوا إلا كفورا باعتبار صدور هذا القول بينهم وهم راضون به ومتمالئون عليه متى علموه فلا يلزم أن يكون كل واحد منهم قال هذا القول كله بل يكون بعضهم قائلا جميعه أو بعضهم قائلا بعضه .

" ولما اشتمل قولهم على ضمائر الخطاب تعين أن بعضهم خاطب به النبي صلى الله عليه و سلم مباشرة إما في مقام واحد وإما في مقامات . وقد ذكر ابن إسحاق : أن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف وناسا معهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وبعثوا إلى النبي صلى الله عليه و سلم أن يأتيهم . فأسرع إليهم حرصا على هداهم فعاتبوه على تسفيه أحلامهم والطعن في دينهم وعرضوا عليه ما يشاء من مال أو تسويد . وأجابهم بأنه رسول من الله إليهم لا ينبغي غير

---

١ – التحرير والتنوير ، ٢٢٦٦/١ .

٢ – جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ،٥٦٢/١٧ .

نصحهم فلما رأوا منه الثبات انتقلوا إلى طلب بعض ما حكاه الله عنهم في هذه الآية (١)

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾الكهف: ٢١ (ريب).

ففي الآية الكريمة تكرار للتوكيد بأداة (أنَّ) والمعنى : أن وعد الله حق وأن كل ما وعده سبحانه متحقق ويجعل قوله تعالى وأن الساعة لا ريب فيها تخصيصا بعد تعميم

"وأن القيامة لا ريب في امكانها فإن من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنني حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلنا إليها قد أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر ابدانهم فيردها عليها(٢)

المطلب الثالث: النفي

النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول ، وهو أسلوب نقض وإنكار ، يستعمل لرفع ما يتردد في ذهن المخاطب ، والنفي مصطلح بصري ، أما الكوفيون فأطلقوا عليه الجحد ، وأكثر من استعمله الفراء وتعلب(٣).

١ – التحرير والتنوير ، ٢٤٩٨/١ .

٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٣٣/١٥ .

٣ – مجالس ثعلب .، أبو العباس يحيى بن أحمد ثعلب .،المحقق : عبد السلام هارون .، ط١ ، دار المعارف .، ١٩٦٠م.، ١٠١/١

وقد بحث النحاة القدامى موضوع النفي ، وأشاروا إليه وإلى أدواته في مصنفاتهم ومنهم سيبويه حيث أشار إلى النفي في كتابه إذ يعرض لأدوات النفي وخاصة كل أداة في الاستعمال ، فيبين ما هو لنفي الماضي غير المؤكد ، وما هو لنفي الماضي المؤكد ، وما هو نفي للحال ، وما هو نفي للمستقبل ، المؤكد منه وغير المؤكد .

أو لا تكون الجملة منفية بالمعنى اللغوي ، الذي يترتب عليه الخضوع لنظام معين في الجملة ، إلا حين تكون مصدرة بأداة النفي ([1])، ذلك أن النفي من المعاني العامة التي تصيب الجمل ، وأن جميع الأدوات تحتفظ برتبة خاصة في الكلام ، وأن رتبة أدوات الجمل جمبعا في الصدارة أي تتقدم على هذه الجمل حتى تفيد معانيها الوظيفية

أدوات النفي :

١- (لا) النافية :وتستعمل (لا) مع الفعل أكثر مما تستعمل مع الاسم ، سيما الفعل المضارع ولهذا فهي تدل على النفي في مطلق الزمن ، وقد تكون عاملة أو غير عاملة ([2]).

٢- (ما) النافية : وهي على نوعين :

أ- النافية غير العاملة وهي أداة لنفي الفعل في الحال ، نحو : (ما يقرأ زيد)

ب-النافية المهملة وهي تدخل على الجملة الاسمية فتعمل عمل ليس بلغة أهل الحجاز بشروط ، وتهمل بلغة أهل تميم (٣).

---

١ – أساليب النفي في العربية ، دراسة وصفية تاريخية ،النحاس،مصطفى ،الكويت:جامعة الكويت ، : ١٩٧٩م، ص١٥

٢ – الكتاب ، ١١٧/١

٣ – الكتاب ، ٥٧/١

٣- (إن) النافية : وهي أداة تتصدر الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية ، ومجراها مجرى (ما) في نفي الحال والغالب استعمالها قبل (إلاَّ) في القصر لغرض التوكيد([1]).

٤- (لم) : حرف نفي في الماضي تدخل على المضارع فتصرف معناه إلى المضي ، وقد ذكر النحاة أن علامة المضارع أن يقبل دخول لم ([2])

٥- (لن) : وتدخل على الجملة الفعلية فعلها المضارع وتعمل فيه النصب ، وهو موافق لما ذهب إليه النحويون .

ومنها كذلك (لما- لات) بالإضافة إلى مجموعة من الأفعال تعمل عمل النفي مثل (حاشا – ليس) على خلاف بين النحويين على فعليتها أو حرفيتها ، كما يوجد ما يسمى بالنفي الضمني وهو باب واسع (٣)

وقد كثر استخدام أسلوب النفي بأدواته المختلفة في النص القرآني كأحد أساليب التوكيد سواء في عرض المرتابين لريبهم أو في الرد عليهم على النحو التالي :

- ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾الكهف: ٢١

فقد استخدمت الآيات الكريمة النفي بـ(لا) للتوكيد والرد على المتشككين بيوم القيامة والبعث والنشور بعد الممات " أى أن الإعثار عليهم بعد أن غيبوا وبعثوا ليعلموا أمرين :

---

١ – شرح التسهيل لابن مالك ، ص٢٢

٢ – شرح قطر الندى ، ص٩٢ .

٣ – النفي في النحو العربي ، توفيق جمعات ، رسالة ماجستير،جامعة قاصدي مرباح ، الجزائر ، ٢٠٠٦م ، ص١٦: ٥٦ .

الأمر الأول – أن وعد الله تعالى بالبعث والنشور ، وأن الناس ينامون كما يموتون وأنهم يبعثون كما يستيقظون ، وأنهم للجنة أبدا ، أو للنار – أبدا – هو وعد حق.

الأمر الثاني – أن الناس لم يخلقوا سدى ، وأن الساعة وهي القيامة اتية لا ريب فيها ، فلا يرتاب فيها مرتاب يدرك الحياة وغايتها ونهايتها (١)

– ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾الشورى: ١٤

والنفي مع التخصيص للتوكيد والمعنى " وما تفرقت أممهم في أدياهم إلا من بعد ما جاءهم العلم على لسان رسلهم من النهي عن التفرق في الدين مع بيانهم لهم مفاسد التفرق وأضراره أي أنهم تفرقوا عالمين بمفاسد التفرق غير معذورين بالجهل . وهذا كقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) على التفسير الآخر وذكر سبب تفرقهم بقوله (بغيا بينهم) أي تفرقوا لأجل العداوة بينهم أي بين المتفرقين أي لم يحافظوا على وصايا الرسل

وهذا تعريض بالمشركين في إعراضهم عن دعوة الإسلام لعداوتهم للمؤمنين(٢).

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾المدثر: ٣١

---

١ – زهرة التفاسير ، الإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ٤٥١١/١.

٢ – التحرير والتنوير ، ١/ ٣٨٥٨

والنفي مع الاستثناء للتخصيص والتوكيد والرد على الكافرين المتشككين والمعنى " ما جعلناهم رجالا فيأخذ كل رجل رجلا كما قال هذا ، وما جعلنا عدة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مشركي قريش" (١).

وقوله تعالى : ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾التوبة: ١١٠

وبالمثل " يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين ، (إلا أن تقطع قلوبهم)، يعني: إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا ، (والله عليم)، بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار، من شكهم في دينهم، وما قصدوا في بنائهموه وأرادوه، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة، وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم(٢).

كما يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدراً أي : لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ، ويحتمل أن يراد به المبني ، فيكون على حذف مضاف أي : لا يزال بناء المبنى . " وقال قتادة : في الكلام حذف تقديره : لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة أي : حزازة وغيظاً في قلوبهم . وقال ابن عطية : الذي بنوا تأكيد وتصريح بأمر المسجد ورفع الإشكال ، والريبة الشك ، وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه ، والإعراض في الشيء والتخبيط فيه . والحزازة من أجله ، وإن لم يكن شكا فقد يرتاب من لا يشك ، ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك . ومعنى الريبة في هذه الآية تعم الحيق ، واعتقاد صواب فعلهم ، ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام . فمقصد الكلام : لا يزال هذا

---

١ – جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ،٣٦/٣٤ .

٢ – تفسيرالطبري ، ١٤/ ٤٩٤

البنيان الذي هدم لهم يبقي في قلوبهم حزازة وأثر سوء . وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا(١)

المطلب الرابع: الإنكار والتوبيخ

عدُّ الإنكاروالتوبيخ واحدًا من الأساليب العربيَّة التي يَقصد إليها متكلِّم العربية، للتعبير عمَّا يَختلج نفسَه من مشاعِر الإنكار وعدم الرِّضا، ويتم ذلك بواسطة أدوات معيَّنة تفيد ذلك المعنى وتؤدِّيه خير تأدِية، وقد سبر علماؤنا القدامى رضي الله عنهم وأرضاهم جميعًا أغوارَ هذه الأدوات ووضَّحوا معنى الإنكار الذي تؤدِّيه، معزَّزًا بأمثلة وشواهد تقرِّبه إلى ذِهن متعلِّم هذه اللُّغة،

الإنكار في اللغة :مصدر من الفعل "أنكَرَ"، وأنكر الشيء إذا جهلَه، وأنكر حقَّه: جحدَه ولم يَعترف به، وأنكر عليه فعله: عابَه، وتنكَّر الرجل: تَغَيَّر عن حالٍ تَسُرُّه إلى حال يكرهه(٢).

أمَّا في الاصطلاح، فالإنكار: هو أن تُنكِر على المخاطب، وتَستهجن منه ما حدث؛ "ليتنبَّه السامع حتى يَرجع إلى نفسه، فيَخجل ويَرتدع ويعي الجواب"(٣)

فقد يكون المتلقِّي منكرًا لأمرٍ من الأمور، وجاحدًا له، فيأتي أسلوبُ الاستفهام الإنكاري لينكِر على المخاطب إنكاره وليُبْطله، أو يُكَذِّبه، أو يُوَبِّخه.

---

١ – تفسير البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان ، ٦/٢٣٠

٢ – أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد؛ سعيد الخوري الشرتوني، منشورات آية الله العظمى المرعشي بقم إيران، مادة "نكر"

٣ – دلائل الإعجاز؛ عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، مطبعة المدني، ص: ٩٤ .

فهو غرض بلاغيٌّ يرد في الجملة المستفهَم عنها و"أحد المعاني التي تأتي لها همزة الاستفهام "(١).إذ يدلُّ على أنَّ الأمر المستفهَم عنه أمرٌ منكر، وقد يكون هذا الذي ينكره العقلَ أو الشرع أو القانون أو غير ذلك.

والاستفهام الإنكاريُّ في القرآن الكريم يُعدُّ من أكثر أنواع الاستفهام "وأوسعها تصرُّفًا، فجملة أساليبه بلغَت سبعًا وثمانمائة... وكَثُرت في المكِّي حيث بلغَت ثلاثين وستمائة(٢)

أنواع الإنكاروالتوبيخ :

أولاً : إنكار توبيخي:

وما بعده واقع، وفاعله ملوم(٣)

؛ نحو قوله تعالى :﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ الصافات: ٩٥، ومنه قوله تعالى أيضًا :﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ الأنعام: ٤٠ فهو إنكار للمشركين لعبادتهم ما يصنعون بأيديهم ...؟

ثانياً : إنكار إبطالي:

ويجيء لإبطال أمرٍ تَستنكره استنكارًا شديدًا إلى درجة رَغبة المستفهم في إبطاله جملة وتفصيلاً، فما بعد الاستفهام واقع ومُدَّعيه كاذب(٤).

١ – معجم المصطلحات النحوية والصرفية؛ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٨٥، ص: ٢٣٢

٢ – أساليب الاستفهام في القرآن الكريم؛ عبدالعليم السيد فودة، دار الشعب، القاهرة سنة: ١٩٥٣، ص: ١٩١.

٣ – المغني؛ ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: عبداللطيف محمد الخطيب، ط١، السلسلة التراثية، الكويت سنة ٢٠٠١، ١ / ٩٣.

٤ – المغني، ١ / ٩١

قال ابن هشام" :وهذه تَقتضي أنَّ ما بعدها غير واقع، وأنَّ مدعيه كاذب(١)"، من ذلك قوله تعالى :﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾ الإسراء: ٤٠، وقوله تعالى أيضًا :﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ الصافات: ١٤٩، ومنه أيضًا :﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ الحجرات: ١٢، فجميع ما جاء بعد هذه الهمزة باطل منكَر وغير واقع؛ إذ لم يحصل منه أيُّ شيء.

أدوات الإنكار والتوبيخ(٢)

١– الهمزة:

تفيد الهمزةُ معنى الإنكار، إذا لم يَكن المراد منها طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذِّهن، بل يُراد بها معنى الإنكار؛ أي: النَّفي، وهو إنكارٌ إبطالي إذا كان ما بعدها غير واقع، وأنَّ مُدَّعِيَه كاذبٌ.

وتفيد هذه الهمزة نَفي ما بعدها؛ لذا وجب ثُبوته إذا كان منفيًّا؛ لأنَّ نفي النَّفي إثبات، ومنه قوله تعالى :﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ الزمر: ٣٦؛ أي: الله كافٍ عبدَه .

وإذا كان ما بعد الهمزة واقعًا، وفاعله ملومًا، فإنَّها للإنكار التوبيخي، ومنه قوله عزَّ وجلَّ :﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ الصافات: ٩٥

٢– الألف:

١ – المغني، ١ / ١١

٢ – المغني ، ص٩٢ : ٩٦

"والمراد به الحرف الهاوي الممتنع للابتداء به؛ لكونه لا يقبل الحركة"، وذُكِرَ لهذا الحرف تسعة أوجه: أحدها: أن تكون للإنكار، نحو: "أعَمْراهْ"، لمن قال: "رَأيتُ عَمْرًا، والأصل في هذا القول: أَعَمْرًا، على تقدير: أرَأَيتَ عَمْرًا، ثمَّ حُذف الفعل والتَّنْوين، وزيدَت الألف وهاء السَّكت.

٣- الواو:

من أنواع الواو المفردة واو الإنكار، نحو: "آلرجلوه" بعد قول القائل: "قَامَ الرَّجُلُ.

٤- الياء:

تأتي الياء المُفردة على ثلاثة أوجه، منها: أن تكون حرف إنكار، نحو: "أزَيْدُنِيه.

المطلب الخامس : الشرط

الشرط لغة :قال ابن فارس :" الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة"([1]) ، وهو إلزام الشيء وإلتزامه في البيع ونحوه ، وللجمع شرط وشرائط ، وقيل : الشرط تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني"([2]) .

الشرط اصطلاحاً : الشرط :" هو وقوع الشيء لوقوع غيره "([3]) ، فهو أسلوب يدل على تلازم جملتين ، وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط ، وتعتبر الجملة الشرطية من الجمل المركبة المكونة من اسنادين مرتبط أحدهما بالآخر ، ويتوقف عليه ، ويسمى

١ – معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ٣/ ٢٦٠ .

٢ – لسان العرب ، ٧/ ٣٢٩ .

٣ – المقتضب ، ٤٦/٢ .

المركب الأول صدر جملة الشرط ، والمركب الثاني عجز حملة الشرط ، والارتباط بين المركبين يعتمد أداة تكون علاقة بين مركبين .

إذن فالجملة الشرطية هي كلام لا يستغني بعضه عن بعض .

وقد عبر سيبويه عن الجملة الشرطية بمصطلح الجزاء حيث قال :" هذا باب الجزاء "([1]) وتبعه المبرد في ذلك حيث قال :" المجازاة وحروفها"([2]) وهذا يدل على أن مصطلح الجزاء أقدم من مصطلح الشرط .

أدوات الشرط :

أدوات الشرط هي كلمات وضعت لتعليق جملة بجملة ، وتكون الأولى سبباً والثانية متسبباً ، ولذلك يجب استقبال الفعلين بعدها ؛ لأن أدوات الشرط من شأنها أن تنقل الماضي إلى الاستقبال ، وتخلص المضارع له .

وقد قسم ابن هشام الأدوات إلى عاملة(جازمة) وغير عاملة (غير جازمة) :

النوع الأول : فأما العاملة – الجازمة – فهي([3]) :

١- حرف باتفاق ، وهو : إن .

٢- حرف على الأصح ، وهو : إنما .

٣- اسم باتفاق ، وهي : من ، وما ، متى ، أي ، أين ، أيان ، أنى ، حيثما .

٤- اسم على الأصح ، وهو : مهما .

---

١ – الكتاب ، ٥٦/٣ .

٢ – المقتضب ، ٤٦/٢ .

٣ – أوضح المسالك لألفية ابن مالك ، ٢٠٥/٤ .

النوع الثاني : الغير عاملة – غير الجازمة – فهي :

تلك الأدوات التي تقوم بالربط بين أمرين ، يترتب أحدهما على الآخر ، وهي تستدعي جملة شرطية كاملة ، من فعل الشرط وجواب الشرط ، وهي غير جازمة ، وهي : لو ، لولا ، كلما ، أما ، لما الحينية ، إذا ، كيف ([1]) .

وقد تناولت كثير من الآيات أسلوب الشرط في معرض تناول مظاهر الريب أو الردعلى المرتابين على النحو التالي :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾غافر: ٣٤ (مرتاب).

(إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ) أسلوب شرط لأداة غير عاملة أو غير جازمة ، وقد جاء الشرط ليربط بين وفاة سيدنا يوسف وقول المتشككين بقضية عدم إرسال الله لنبي من بعده والمعنى أي: أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة ، و" هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله أي: في إبطالها بالتكذيب "([2]) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾فصلت:٤٥ (مريب).

فقد تناولت الآية الكريمة أسلوب الشرط لأداة غير جازمة للرد على المترددين في قوله تعالى (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فقد أمهل الله هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ولا يعجل لهم العقوبة على الرغم من تكذيبهم وريبهم "ولا

---

[1] – النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعرف ، ط٩ ، القاهرة ، ٤/ ٣٩٨ .

٢ – معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤، ١٤٨/٧ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة" (١).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾البقرة:٢٣ (ريب).

وأسلوب الشرط مع أداة عاملة – جازمة– في قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ) في معرض التحدي لهؤلاء المتشككين والكافرين بما أنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ؛ لأن الله تعالى علم أنهم شاكون فقيل لهم (فَأْتُوا) وهو أمر للتعجيز والمعنى " لما قرر سبحانه أمر توحيده بأحسن أسلوب عقبه بما يدل على تصديق رسوله– صلى الله تعالى عليه وسلم – والتوحيد والتصديق توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فالآية وإن سيقت لبيان الإعجاز إلا أن الغرض منه إثبات النبوة "(٢) .

المبحث الثالث : المجالات التي ارتاب فيها المرتابون

من تأمل في القرآن الكريم وجد آيات كثيرة تنسف حجج وبراهين هؤلاء المرتابين، وتعيب على الشُكاك انتحال هذا الاتجاه الفاسد. والآيات التي جاء فيها مظاهر الريب والشك كثيرة جدًا، ويمكن تقسيمها بحسب موضوعاتها إلى:

المطلب الأول : العقائد وتشمل شكهم في (الله ورسوله والأنبياء والرسالات والبعث والجزاء و اليوم الآخر) :

فمن ريبهم وشكهم في الله وربوبيته وألوهيته أن الله تعالى عاب على المشركين شكهم في ربوبيته وألوهيته فقال سبحانه :

---

١ – معالم التنزيل ، ١٢٦/٤ .

٢ –روح المعاني ، ١٩٢/١ .

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ.بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) سورة الدُخان: ٨-٩.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به" (١)

وجاء بيان بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله تعالى، ونفي أي شك في بطلانه (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ) سورة هود: ١٠٩. مما يعني أن ما هم فيه من الشك في عبادة الله تعالى باطل يقينًا، كما أن ما هم فيه من عبادة الأوثان لا شك في بطلانه، فكان في هذه الآية نفي لشكين وإثبات ليقينين.

قال تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي الله شَكٌّ) سورة إبراهيم: ١٠ .

قال البغوي رحمه الله تعالى: "هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه" (٢)، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيده" (٣) ، وبعد نفي الشجك بأسلوب الإنكار لفت الانتباه إلى بعض آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته وألوهيته (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) سورة إبراهيم: ١٠. وقد جاء في الآيات الثلاث السابقة تأكيد ما هم فيه من الريب والشك بوصف أنه مريب، ووصف الشك بالمريب تقوية لمعنى الشك .

وريبهم وشكهم في الأنبياء ودعواتهم :

---

١ – تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م :١٣٩/٤

٢ – تفسير البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، ط٤ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م: ٣ /٢٧.

٣ – زاد المسير – ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ ، المكتب الإسلامي – بيروت، ٤:١٤٠٤/٣٤٩.

قال تعالى : (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) سورة هود: ٦٢.

وقوله تعالى :(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيب) سورة هود: ١١٠.

وقوله تعالى :(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) سورة إبراهيم: ٩.

– وقوله تعالى على لسان العبد المؤمن من آل فرعون : (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) سورة غافر: ٣٤، فعاب الله تعالى عليهم سلوك سبيل أجدادهم حين شكوا في دعوة يوسف عليه السلام، وكان في ذلك ذم لهم على شكهم في دعوة موسى عليه السلام، ثم أكد هذا الذم بنفي الهداية عمن هو مسرف في شركه، مرتاب في ربوبية الله تعالى وألوهيته (١)، فكان في الآية ذم للشك وأهله في موضعين.

ومن شكهم في البعث والجزاء واليوم الآخر:

قوله تعالى : (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) سورة النمل: ٦٦ .

قال البغوي رحمه الله تعالى: يعني هم اليوم في شك من الساعة (٢).وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: "فهذا الذي كانوا يشكّون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل يعلمونه في الآخرة علمًا كاملًا لا يخالجه شكّ عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من

---

١ – تفسير القرطبي لجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ،المحقق : هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية: ٣١٣/١٥.

٢ – تفسير البغوي ،٣ /٤٢٦.

البعث والجزاء" (١). بل جاء في القرآن ما يدل على أن من حكم ابتلاء بني آدم بالشيطان معرفة المؤمنين بالآخرة من الشاكين فيها ؛ كما في قول الله تعالى :(وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) سورة سبأ: ٢١.

وقوله تعالى : (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) سورة سبأ: ٥٤

قال الطبري رحمه الله تعالى: "إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه" (٢) وقال البغوي رحمه الله تعالى: "إنهم كانوا في شك من البعث ونزول العذاب بهم" (٣).

وقوله تعالى : (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) سورة الإسراء: ٤٩ وقوله تعالى : (قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) سورة المؤمنون، الآية: ٨٢ ، وحكى سبحانه عنهم أنهم قالوا : (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) سورة الرعد: ٥ ، وقالوا أيضًا (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) سورة الصافات: ٥٣ واستبعدوا وقوع ذلك فقالوا :(أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) سورة ق: ٣ وفي موضع آخر عُبر عن شكهم في البعث باللبس : (أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) سورة ق: ١٥

أي: في شك من البعث (٤) وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس وأن من بدأ الخلق فالإعادة عليه أسهل (١) بل إن المنكرين للبعث

---

١ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، ١٢٢/٦.

٢ – جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت : أحمد محمد شاكر، ط١ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، ١١٣/٢٢.

٣ – تفسير البغوي: ٥٦٤/٣.

٤ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٩٩٧م ، : ١٢٨/٨.

والجزاء، الشاكين فيهما يبكتون يوم القيامة، ويُذَّكرون بشكهم وعدم يقينهم بالآخرة، مما كان سببًا في عذابهم، كما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) سورة الجاثية: ٣٢، وامتدح الله تعالى أهل الإيمان بأنهم يوقنون بالبعث والجزاء فذكر سبحانه من دعائهم (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) سورة آل عمران: ٩.

المطلب الثاني : ريبهم وشكهم في الوحي والقرآن الكريم ، ونبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) :

فمن ريبهم وشكهم في القرآن الكريم وما جاء فيه من الهدى:

كما في قول الله تعالى :(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) سورة البقرة: ٢، ثم تحداهم الله تعالى أن يأتوا بسورة مثل سور القرآن إن كانوا في شك منه، وأخبرهم أنهم لن يستطيعوا لو حاولوا : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) سورة البقرة: ٢٣-٢٤. وقال تعالى : (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة يونس: ٣٧، وقال تعالى : (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة السجدة: ٢.

وريبهم وشكهم في نبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – :

قول الله تعالى في ذم أهل الكتاب لما شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) سورة الشُّورى: ١٤.

قال جمع من المفسرين: أي: في شك من محمد صلى الله عليه وسلم (٢) ، وقال آخرون: بل شكهم كان في القرآن ، وقال آخرون :شكهم في كتبهم (١) ، وكل هذا

---

١ – تفسير ابن كثير : ٥٠١/٢.

٢ – تفسير البغوي: ١٢٢/٤.

من اختلاف التنوع فلا تعارض بين الأقوال، والمقصود أن الله تعالى ذم أهل الكتاب على شكهم فيما لا شك فيه.

المطلب الثالث : شكهم في قضاء رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

فمن ريبهم وشكهم كانوا يكذبون على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – حتى لا يحكم بينهم بما أنزل الله .

قوله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) المائدة ٤٢ :٤٣

قال الطبري :"وكان الشريف إذا زنى بالدنيئة رجموها هي، وحمموا وجه الشريف، وحملوه على البعير، وجعلوا وجهه من قبل ذنب البعير. وإذا زنى الدنيء بالشريفة رجموه، وفعلوا بها هي ذلك. فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرجمها. قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: من أعلمكم بالتوراة؟ قالوا: فلان الأعور! فأرسل إليه فأتاه، فقال: أنت أعلمهم بالتوراة؟ قال: كذاك تزعم يهود! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طور سيناء، ما تجد في التوراة في الزانيين؟ فقال: يا أبا القاسم، يرجمون الدنيئة، ويحملون الشريف على بعير، ويحممون وجهه، ويجعلون وجهه من قبل ذنب البعير، ويرجمون الدنيء إذا زنى بالشريفة، ويفعلون بها هي ذلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:"أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طور سيناء، ما تجد في التوراة؟ فجعل يروغ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينشده بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طور سيناء، حتى قال: يا أبا

---

١ – بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، ت : د.محمود مطرجي ، ط١ ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م ، ٢٢٧/٣.

القاسم،"الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهو ذاك، اذهبوا بهما فارجموهما"(١).

قال السيوطي :" ووقع اليهود بذلك الرجل الذي أخبر النبي صلى الله عليه و سلم وشتموه وقالوا : لوكنا نعلم أنك تقول هذا ماقلنا انك أعلمنا ...، ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبي صلى الله عليه و سلم : ماتجد فيما أنزل اليك حد الزاني ؟ فأنزل الله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله يعني حدود الله فأخبره الله بحكمه في التوراة قال قوله " ثم يتولون .." يعني عن الحق من بعد ذلك يعني بعد البيان وما أولئك بالمؤمنين يعني اليهود "(٢)

المطلب الرابع : صحة بعض الأعمال وصوابها :

ومنها التشكيك لكسر وحدة الصف فكان بناء مسجد الضرار؛ إذ المساجد بيوت الله يجب أن يخلص فيها القصد والنية لوجه الله وعبادته ، فبنى هؤلاء المرتابين والمشككين في دين الله ونبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله .

قال تعالى :(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) التوبة :١٠٧

وتأويل الكلام: "والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفرقوا به المؤمنين، ليصلي فيه

---

١ – تفسير الطبري ، ٣٢٨/١٠ .

٢ – الدر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ٨٤/٣ .

بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ،(وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل)، يقول: وإعدادا له، لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله، وكفر بهما، وقاتل رسول الله ،(من قبل)، يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد. .... ، (والله يشهد إنهم لكاذبون)، في حلفهم ذلك، وقيلهم: "ما بنيناه إلا ونحن نريد الحسنى!"، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوآى، ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفرا بالله، وتفريقا بين المؤمنين، وإرصادا لأبي عامر الفاسق"(١) .

ومنه التشكيك في رفع عيسى – عليه ونبينا الصلاة والسلام –

قال تعالى :(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) النساء ، ١٥٧ : ١٥٩ .

قال الطبري :" القول في تأويل قوله : (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سَلَّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسُعُر. ولهذا قال: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين. (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي منيع الجناب لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه (حَكِيمًا) أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم"(٢)

---

١ – تفسير الطبري ، ٤٦٩/١٤

٢ – تفسير ابن كثير ، ٤٤٩/٢ .

وقوله قبله (وما قتلوه وما صلبوه) أي : هم في زعمهم قتله ليسوا بموقنين بذلك للاضطراب الذي حصل في شخصه حين إمساك من أمسكوه وعلى هذا الوجه فالقتل مستعمل في حقيقته . وهذا كقول الرجل للرجل:"ما قتلت هذا الأمر علما، وما قتلته يقينا"، إذا تكلم فيه بالظن على غير يقين علم. فـ"الهاء" في قوله:"وما قتلوه"، عائدة على"الظن"(١)

المبحث الرابع : آثار الوقوع في الريب وعواقبه

لقد استطرد القرآن الكريم دلائل الإيمان والتوحيد لئلا يكون لهؤلاء المرتابين والمشككين حجة فيما وعدهم الله من خزي في الدنيا والأخرة ، فكانت النتيجة المحتومة لكل مرتابٍ منافق على النحو التالي :

المطلب الأول :الكفر والإلحاد إن كان الريب في العقائد

فمن أثار الوقوع في الريب والشك في الله – سبحانه وتعالى – وألوهيته وربوبيته الكفر والإلحاد ومنها قول الله – تعالى –

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾الإسراء:٩٩.

١ – التحرير والتنوير ، ١٠٥٧/١ .

يقول الطبري :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين– الشاكين المترددين في قدرة الله – سبحانه وتعالى – (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقدرته، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا، بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا، وقوله(وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم، ووقتا لعذابهم لا ريب فيه. يقول: لا شك فيه أنه آتيهم ذلك الأجل(فأبى الظالمون إلا كفورا) يقول: فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبا به"(١).

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ التوبة:٤٥.

يقول ابن كثير:" أي: لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: شكت في صحة ما جئتهم به، (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) أي: يتحيرون، يُقَدِّمُون رجلا ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هَلْكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا"(٢).

وكذلك كفرهم بتحاكمهم إلى الطاغوت والصدود عما أنزل الله و عدم الرضا بالتحاكم إليه

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ

---

١ – تفسير الطبري ، ١٧ / ٥٦٢ .

٢ – تفسير ابن كثير ، ١٥٨/٤ .

ضَلالاً بَعِيدًا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) النساء: ٦٠-٦١.

قال ابن القيم: "إن حاكمت المنافقين إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمدا بعيدا، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضا شديدا، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} (١).

المطلب الثاني : الاضطراب والتناقض في المواقف

ومنها الرضا بأسافل المواضع:

(وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ) التوبة: ٨٦.

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرا وذاما للمتخلفين عن الجهاد الناكلين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول، واستأذنوا الرسول في القعود، وقالوا: (ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ)، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما، كما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى: {فَإِذَا جَاء ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) الأحزاب: ١٩، أي: علت ألسنتهم بالكلام الحادّ القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء" (٢)

---

١ – مدارج السالكين ، ١/٣٨٥.

٢ – تفسير ابن كثير ، ٢/٣٩٤ .

وكذلك الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل ونسيان الله تعالى:

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) التوبة:٦٧.

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) أي: عن الإنفاق في سبيل الله(نَسُوا اللَّهَ) أي: نسوا ذكر الله (فَنَسِيَهُمْ) أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: (وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـٰذَا). (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) أي: الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة"(١).

وقال ابن القيم: "هم جنس بعضه يشبه بعضا، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه، كم ذكرهم الله بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه، وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليتجنبوه، فاسمعوا أيها المؤمنون: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)"(٢).

بل إنهم يفرحون بالتخلف ويكرهون الجهاد ويتواصون بالتخلف عنه:

قال تعالى : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) التوبة: ٨١.

قال ابن كثير: "يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وفرحوا بقعودهم بعد خروجه، (وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا) معه (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا) أي: بعضهم لبعض (لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) ؛ وذلك

---

١ – تفسير ابن كثير ، ٣٨٢/٢ .

٢ – مدارج السالكين ، ٣٨٢/١ .

أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار؛ فلهذا قالوا: لا تنفروا في الحرّ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قُلْ) لهم (نَارُ جَهَنَّمَ) التي تصيرون إليها بمخالفتكم (أَشَدُّ حَرًّا) مما فررتم منه من الحر، بل أشدّ حرّا من النار"(١).

المطلب الثالث : التعاسة والشقاء في النفس

فهؤلاء الشاكين المترددين لا يستقر لهم أمر ولا تستكين لهم نفس ولا يطمئن لهم قلب فيظهر الرعب عليهم والشقاء والتعاسة عند ذكر القتال في آيات الله تعالى:

قال تعالى : (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) محمد: ٢٠.

يقول البغوي :" كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين، (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني المنافقين، (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) شزرًا بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبنًا عن لقاء العدو، (نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، (فَأَوْلَى لَهُمْ) وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد: "أولى لك" أي: وَلِيَك وقاربك ما تكره"(٢).

بل إنهم يعيبون العمل الصالح ويرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم:

قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) التوبة:٥٨.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: (وَمِنْهُمْ) أي: ومن المنافقين (مَنْ يَلْمِزُكَ) أي: يعيب عليك (فِي) قسم (الصَّدَقَاتِ) إذا فرقتها، ويتهمك في ذلك، وهم المتّهمون المأبونون، وهم مع

---

١ – تفسيرابن كثير ، ٣٩١/٢ .

٢ – تفسير البغوي ، ٢٨٦/٧ .

هذا لا ينكرون للدين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن أعطوا من الزكاة (رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أي: يغضبون لأنفسهم"(١).

وقال تعالى : (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ، لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) التوبة:٥٦، ٥٧.

قال ابن كثير: "يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ) يمينا مؤكّدة، (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ) أي: في نفس الأمر، (وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) أي: فهو الذي حملهم على الحلف. (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً) أي: حصنا يتحصنون به، وحرزا يتحرزون به، (أَوْ مَغَارَاتٍ) وهي التي في الجبال، (أَوْ مُدَّخَلاً) وهو السرب في الأرض والنفق... (مُدَّخَلاً لَوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) أي: يسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة، وودّوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزّ ونصر ورفعة، فلهذا كلّما سرّ المسلمون ساءهم ذلك فهم يودّون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال: (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ)"(٢).

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) المنافقون:١-٣.

قال ابن القيم: "تسبق يمين أحدهم كلامَه من غير أن يعترض عليه؛ لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به، وكشف ما لديه، وكذلك أهل

---

١ – تفسير ابن كثير ، ٢/٣٧٧ .

٢ – تفسير ابن كثير ، ٢/٣٧٧ .

الريبة يكذبون ويحلفون؛ ليحسب السامع أنهم صادقون (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١).

(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) المنافقون: ٤.

قال الطبري: "يقول جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يحسب هؤلاء المنافقون – من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم – كلّ صيحة عليهم؛ لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله ظنوا أنه نزل بهلاكهم بالأسن"(٢) .

المطلب الرابع : فقدان الثقة في الآخرين

فهم دائما يسخرون من العمل القليل من المؤمنين ويحاولون أن يحقروا من شأنهم :

قال تعالى : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) التوبة: ٧٩.

عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: لما أمرنا بالصدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء، فنزلت: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...)(٣).

---

١ – مدارج السالكين ، ١/ ٣٨١ .

٢ – تفسير الطبري ، ١٠٧/٢٨–١٠٨.

٣ – أخرجه البخاري في التفسير، باب: قوله: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ...} (١٤٦٦٨)، ومسلم في الزكاة (١٠١٨).

قال ابن كثير: "وهذا أيضا من صفات المنافقين، لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هذا مُراءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقته"(١).

ويكرهون الجهاد ويسخرون من الاستشهاد في سبيل الله تعالى:

قال تعالى : (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) آل عمران:١٦٧.

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق وأصحابَه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، حين سار نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسِرنا معكم إليهم، ولكُنّا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، فأبدَوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم: (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ) غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به"(٢)

وكذلك الاستهزاء بآيات الله:

قال تعالى : (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ) التوبة: ٦٤.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعلّ الله لا يفشي سرّنا، فقال الله لنبيه

---

١ – تفسير ابن كثير ، ٣٨٩/٢ .

٢ – تفسير الطبري ، ١٦٧/٤ .

صلى الله عليه وسلم: قل لهم: (اسْتَهْزِئُوا)، متهدِّدا لهم متوعّدا، (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)" (١) .

المطلب الخامس : الخلود في النار للمرتاب في العقائد

ولأن قلوبهم مريضة بالشك والنفاق فقد أوعدهم الله بالعذاب والخلود في النار :

قال تعالى : (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) البقرة: ١٠.

قال الطبري: "معنى قول الله جل ثناؤه: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) إنما يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء به من عند الله مرض وسقم، فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم. والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكّهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقانَ إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال: فلان يُمَرِّضُ في هذا الأمر، أي: يُضَعِّف العزمَ ولا يصحّح الرويَّة فيه"(٢).

قال ابن القيم: "قد نهكت أمراضُ الشّبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصودَ السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطبّاء العارفون، (٣) .

(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) النساء: ١٤٠.

---

١ – تفسير الطبري ، ١٧١/١٠ .

٢ – تفسير الطبري ، ١٢٢/١ .

٣ – مدارج السالكين ، ٣٧٩/١ .

يقول ابن كثير: وقوله: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) أي: كما أشركوهم في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال، والقيود والأغلال. وشراب الحميم والغِسْلين لا الزّلال"(١).

١ – تفسير ابن كثير ، ٤٣٥/٢ .

الخاتمة

وانتهت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، لعل أهمها ما يلي:

أولاً: بالرجوع إلى كتب اللغة، والنظر في تناولها لدلالة لفظ الريب ، تبيَّن أن بعضهم – وخاصة أصحاب كتب الترادف – يرى أن لفظتي (الشك، والريب) مترادفتان، بينما حاول بعض اللغويين المنكرين لظاهرة الترادف إظهار الفرق بين هذين اللفظين، أما المفسرون فيكادون يجمعون على عدم ترادف هذين اللفظين في لغة القرآن الكريم، وقد أثبتت الدراسة باستقصاء الآيات التي ورد فيها هذان اللفظان صحةَ ما أجمع عليه المفسرون.

ثانيًا: حرَصتِ الدراسة على توظيف المنهج الإحصائي للفظ الريب في القرآن الكريم، كما حرصت على المقارنة الإحصائية بين (المكي، والمدني) للآيات مدار البحث، وقد أسهم هذا المنهج في الوصول إلى نتائجَ غيرِ مسبوقة، ولها دلالات على الإعجاز البلاغي والعددي في القرآن الكريم، ومنها انحصار لفظة (الريب بمعنى الشك) في الآيات المكية في بداية الدعوة، وقد خلت منها الآيات المدنية، إلا في موطن واحد يشير إلى شك الجنود النصارى في الشخص الذي صلبوه: أهو عيسى المسيح أم غيره؟

وورد لفظ (الريب) الذي يعني أمرين، هما: التردد مع تهمة، ورد في عدد زوجي، حيث ذُكر ستًّا وثلاثين مرة، وفي عدد زوجي من السور أيضًا، حيث ذكر في ست وعشرين سورة.

ثالثًا: الإعجاز اللغوي للنص القرآني في توظيف الأساليب النحوية لعرض مظاهر الريب والشك عند المرتابين والمتشككين و دحض الحجج والبراهين المزعزمة والواهية لدى هؤلاء وتفنيدها دون استثناء، وفيها تذكير لهؤلاء بالسابقين من الأمم التي شكَّكتْ في الرسل المبعوثة إليهم من قِبل الله – سبحانه وتعالى – وفي الكتب التي أنزلها عليهم ، حيث دفعهم هذا الشكُّ المريب إلى الإعراض عن الحق مع جلائه، وإنكاره مع وضوحه، بسبب عنادهم وإصرارهم على المكابرة والجحود.

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" أبو السعود، محمد بن محمد العمادي ، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم؛ عبدالعليم السيد فودة، دار الشعب، القاهرة سنة: ١٩٥٣م.
- أساليب النفي في العربية ، دراسة وصفية تاريخية ،النحاس،مصطفى ،الكويت:جامعة الكويت ، :١٩٧٩م،
- أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، محمد حسين أبو الفتوح ، مكتبة لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، دمشق ، مطبعة الشام ، عبد الكريم محمد يوسف ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد؛ سعيد الخوري الشرتوني، منشورات آية الله العظمى المرعشي بقم إيران، د.ت.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، ت : د.محمود مطرجي ، ط١ ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م.
- البحر المحيط ، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف الأندلسي ، ج٨، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م.

- التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م :١٣٩/٤
- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ،المحقق : هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الدر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.
- دلائل الإعجاز؛ عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، مطبعة المدني.، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت .
- زاد المسير ، زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ ، المكتب الإسلامي – بيروت.
- زهرة التفاسير ، الإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ،د.ت .

- شرح الأشموني، علي بن محمد بن عيسى ، أبوالحسن ، نورالدين الأشموني الشافعي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩م – ١٩٩٨م .
- شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش ، ط٦ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت .
- العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السامرائي دار الهلال ، ط١ ، ٢٠٣م .
- "الفروق اللغوية" أبو هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.
- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٢م .
- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"،الزمخشري، محمود بن عمر ، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م.
- لسان العرب المحيط، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، المجلد الأول، بيروت: دار لسان العرب، د. ت.
- مجاز القرآن ، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ج١، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ا/ ١٩٨١ م.
- مجالس ثعلب .، أبو العباس يحيى بن أحمد ثعلب .،المحقق : عبد السلام هارون .، ط١ ، دار المعارف .، ١٩٦٠م

- "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي" المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ، ج١، دار الفكر د. ت، الجزآن في مجلد واحد.
- معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية؛ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة: ١٩٨٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- المغني؛ ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: عبداللطيف محمد الخطيب، ط١، السلسلة التراثية، الكويت سنة ٢٠٠١م.
- مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي، ، ج٢٨، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبوالعباس ، المعروف بالمبرد ، ت: محمد عبد الخالق عضيمة ، ط١ ، عالم الكتب – بيروت ، ٢٠٠١م .
- النفي في النحو العربي ، توفيق جمعات ، رسالة ماجستير،جامعة قاصدي مرباح ، الجزائر ، ٢٠٠٦م.
- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعرف ، ط٩ ، القاهرة ، د.ت .